المتغير الأسلوبي (الليل) في شعر الصعاليك
Stylistic variable (the night) in Essaaliq 's poetry

أ / انتصار أحمد يعقوب عقيلي

قسم المواد العامة والمساعدة-جامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل-الدمام (المملكة العربية السعودية)

V.vectory.v87@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2018/6/13 تاريخ القبول: 2019/02/04

الملخص:

ارتبط الشاعر الجاهلي بالطبيعة حوله وضمنها شعره، متخذًا منها تارةً نديمًا له، وتارةً عدوًا، فكان كل شاعر يستخدم ما حوله من مظاهر الطبيعة، ويوظفها في شعره حسب تجربته الخاصة، ومن ذلك صورة الليل وتغيرها عند كل شاعر حسب تجربته الشعرية وإحساسه.

وتقوم الدراسة على بحث صورة الليل من خلال المتغير الأسلوبي لما يقدمه من قراءة جديدة للنصوص، كما يُمَكِّن من استكشاف جوانب جديدة للشعر امتازت بالتفرد عبر دراسة تعدد الصور بين الشعراء، وبيان أوجه التفرد وسمات المشاركة، وتتناول شعر أربعة من الشعراء الصعاليك الجاهليين، وهم: عمرو بن براق، والشنفرى، وتأبط شرًا، وعروة بن الورد، وانقسمت إلى بحث:

1-ظاهرة الصعلكة وانعكاسها على صور شعرائها.

2-صورة الليل عند شعراء العصر الجاهلي.

3-المتغير الأسلوبي (الليل) عند الشعراء الصعاليك.

الكلمات المفاتيح: المتغير، الأسلوبية، الصعاليك، الليل، الجاهلي.

Abstract:

Pre-Islamic poetry was associated with nature and employed in his poetry according to his own experience, including the image of the night and it change in .each poet according to experience poetry and sense

The study is based on studying the image of the night using the stylistic Changer because it provides a new reading of the texts. It helps to explore new

aspects of poetry, which are unique in the study of multiple images among poets, and to show the uniqueness and characteristics of participation through the poetry of four of Al-saleek poets: Amr ibn Buraq, AlShanfri, and Tabat Shrin, and Erwa bin Alward, and divided into a search:
1-The reflection of the Al-saleek lifestyle on their poetic images.
2- The image of the night at the poets of the pre-Islamic era.
3-The stylistic changer of the night in the poetry of Al-saleek poets.
Keywords: Changer, Stylistic, Al-saleek, Night, Pre-Islamic.

يعد الليل -كمفهوم مجرد- ظرفًا زمنيًا تسري خلاله الأحداث في الحياة، لكنه عند الشعراء تحول إلى فاعل مؤثر، وتتجه هذه الدراسة إلى بحث ذلك عند أربعة من الشعراء الصعاليك الجاهليين، وهم: عمرو بن براق، والشنفرى، وتأبط شرًا، وعروة بن الورد، مع تتبع سمات التحول والتغير الأسلوبي الذي جاء شعرهم عليه، وتتناول الدراسة بحث الآتي:

1-ظاهرة الصعلكة وانعكاسها على صور شعرائها.

2-صورة الليل عند شعراء العصر الجاهلي.

3-المتغير الأسلوبي (الليل) عند الشعراء الصعاليك.

1-ظاهرة الصعلكة وانعكاسها على صور شعرائها:

لابد لنا قبل أن نتحدث عن ظاهرة الصعلكة، وكيف انعكست على صور شعرائها وبالتالي انعكاسها في تصوير هؤلاء الشعراء لليل أن نعرف الصعلكة ونفسر معنى هذا المصطلح، جاء في لسان العرب: "الصُّعْلُوكُ: الفَقِيْرُ الَّذي لا مالَ لَهُ، زادَ الأَزْهِرِيُّ: ولا اعْتِماد[1]"، "وتَصَعْلَكَتِ الإِبِلُ: خَرَجَتْ أَوْبارُها وانجَرَدَتْ وطَرَحَتْها[2]"، فالمعنى اللغوي للصعلكة مرتبط بنمط حياة الصعلوك، وقد اشتمل لأجل ذلك على كلمات ثلاثة هي: الفقر، والغارات، والتجرد، فالفقر دلت عليه أبيات الشنفرى الصعلوك، التي عبر فيها عن مدى الجوع الذي يعيش به ، فقال[3]:

أُدِيمُ مِطَالَ الجُوعِ حَتَّى أُميتَـهُ وَأَضْرِبُ عَنْهُ الذِّكْرَ صَفْحًا فَأَذْهَلُ

وَأَسْتَفُّ تُرْبَ الأَرْضِ كَيْلَا يرَى لَهُ عَلَيَّ مِـنَ الطَّـوْلِ إِلَّا لَـدَيَّ وَمَأْكَـلُ

فالجوع ألم به، حتى بلغ مبلغًا كبيرًا أثر عليه وجعله يبتكر وسائل تعينه على التعايش معه باعتباره ملازمًا له في حياته، فارتبطت الصعلكة بالفقر، وليس أية فقر بل "الفقر الذي يجرد الإنسان من ماله ويظهره ضامرًا هزيلًا لا مال له ولا اعتماد، بين أولئك الاغنياء المترفين الذين أتخمهم المال وأسمنهم[4]"، فالأغنياء كجماعة مفارقة للفقراء، أثرت على الصعلوك، فأراد أن يتجاوز كونه مفارقًا لحال الأغنياء، فاتخذ من الغارات وسيلة تعينه في ذلك، جاعلًا منها حلًا لأمرين: الأول: الجوع الناتج عن الفقر، والثاني: الطبقية الحاصلة بين الفقراء والأغنياء، فأجاز

لنفسه السرقة من الأغنياء والإغارة عليهم، وعدم اعتبار أي شأن لهم، "وعد ما لديهم حقًا مشروعًا له يمكنه الحصول عليه عبر الإغارة عليهم[5]"، متجردًا في ذلك من القيم والاعتبارات الموجودة في العصر الجاهلي الخاصة بالانتماء القبلي، وطبقية المجتمع، فلا انتماء إلا لجماعة الصعاليك، باعتبارهم رفاق المرحلة، وندماء الحياة المعيشية المتماثلة، فأدى ذلك إلى عزلهم في جماعة تمثلهم، وهي جماعة الصعاليك، "وعزلهم نتج عن عدم قدرتهم على الاندماج في المجتمع بصفة مرضية، إما لأنهم لا يستطيعون ذلك، أو لا يرغبون فيه، نتيجة وضعية فرضت عليهم فرضًا من قبل فئات قوية ومسيطرة[6]"، مثلتها أيضًا أبيات الشنفرى الذي اختار الابتعاد عن قومه في قوله[7]:

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيّكُمْ فَإِنِّي إِلى قَوْمٍ سِوَاكُم لأَمْيَلُ
فَقَدْ حُمَّتِ الحَجَاتُ واللَّيْلُ مُقْمِرٌ وَشُدَّتْ لِطيَّات مَطَايَا وَأَرْحُلُ
وَفِي الأَرضِ مَنأى لِلكَرِيمِ عَنِ الأَذَى وَفِيهَا لِمَن خَافَ القِلَى مُتَعَزَّلُ
لَعَمْرُكَ ما في الأَرضِ ضِيقٌ عَلى امْرِئٍ سَرَى رَاغِبًا أَو رَاهِبًا وَهْوَ يَعْقِلُ
وَلِي دُونَكُم أَهْلُونَ سِيْدٌ عَمَلَّسٌ وَأَرقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرفَاءُ جَيْأَلُ
هُمُ الرَّهْطُ لَا مُسْتَوْدَعُ السِّرِّ ذَائِعٌ لَدَيْهِمْ وَلَا الجَانِي بِمَا جَرَّ يُخْذَلُ

وفي مثل هذا المعنى قال عروة بن الورد[8]:

إذا المرءُ لم يبعث سوامًا ولم يُرح عليه ولم تعطِفْ عليه أقاربُه
فللموت خير للفتى من حياتــه فقيرًا ومن مولى تدبُّ عقاربُه

وبذلك ساد على أفراد الصعاليك طابع الاختلاف عما سواهم في المجتمع، وتبلور عن اختلافهم إحساس داخلي بالاغتراب عن مجتمع لا يمكنهم الانتماء إليه، باعتبار أن " مفهوم الغربة، وإن كان مرتكزًا في الأصل على البعد والنأي، لكنه أعمق من ذلك بكثير[9]"، فالصعلوك اغترب داخل المجتمع نظرًا "للاستغلال الذي ساد في المجتمع آنذاك فنتج عنها اغترابه[10]".

وبالتالي فإن تفرد الصعاليك يرجع إلى تفرد الحياة التي عاشوها، فظروف الحياة المتفردة جعلت منهم ذوي تجارب حياتية مختلفة عن غيرهم من شعراء العصر الجاهلي، كما جعلت مفاهيمهم للحياة وتصوراتهم للظروف ورؤيتهم للأمور تختلف "فموقف الشاعر من مجتمعه في إطار الصعلكة يمثل موقفًا لإنسان مفرط الحساسية في مواجهة مجتمع فيه من الأسباب ما يدفع مثل هذا الشاعر إلى التمرد والخروج عليه وتفضيل حياة التوحش والتفرد على الحياة في المجتمع[11]"، فانعكس أثر ذلك على صور الصعاليك، فكانت لذلك صورهم الشعرية مختلفة عن صور باقي الشعراء.

ولابد لنا قبل أن نلج في استبيان ليل الصعاليك من أن نورد صورة الليل عند شعراء العصر الجاهلي وذلك حتى تتضح صورة الليل عند الصعاليك كنهج متفرد.

2-صورة الليل عند شعراء العصر الجاهلي:

للبيئة أثر كبير في تصوير الشاعر "فالعلاقة بين صوره من جهة ومشاعره من جهة أخرى ليست علاقة تضايف وإلحاق بل هي علاقة صميمة تعكس توحد الإنسان بالطبيعة كما تعكس تمثل هذه الطبيعة للإنسان[12]"، وظهر ذلك عبر وصف الشاعر تأثير الليل عليه كظرف زماني "إذ يعد الزمن جزءًا لا يكاد ينفصم من ذلك الحوار الأزلي الذي طالما طرحه الإنسان منذ القدم، عاكسًا من خلاله صورة من صور تخاذله واستسلامه وضعفه[13]"، فالزمان "بالمعنى الدقيق للكلمة هو علامة، ومن حيث هو حياة، يعتبر تنظيمًا لمهام متتابعة[14]"، فربط الشاعر هذا الوقت بما حوله من موجودات، " فالليل ظاهرة طبيعية ترتبط بالزمان والمكان، كما ترتبط ببعض المشاعر والأحاسيس كالرهبة والخوف، ففيه تختفي المرئيات ولا يظهر شيء غير القمر أو النجوم، فنراه يبعث على نوع من الهيبة، وهنا يستيقظ الوجدان والفكر، ويغشى الإنسان شعور حاد بالألم والحزن والقلق والحيرة[15]"، يظهر أثرها في وجدانه، وتتبدى في شعره، "فيعجز الإنسان عن مقاومته، فلا تكاد تراه إزاءه إلا مستسلمًا، معلنًا انسحابه بعد صراع متهافت[16]".

فالليل عند الشعراء الجاهليين وقت للظلمة والخوف والوحشة، وهو طويل للغاية، إذ صوره امرؤ القيس ليلًا طويلًا مسرفًا في الطول "حتى ليظن أن نجومه شدت بيذبل، فهي لا تتحرك ولا تزول ثابتة ثبات هذا الجبل[17]"، قال[18]:

فيالَك من ليلٍ كأَنَّ نجـومَـهُ بكلِّ مُغارِ الفتْل شُدَّتْ بِيَذْبُلِ
كأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ في مَصامِهَا بأمْراسِ كَتَّانٍ إلى صُمِّ جَنْـدَل

وقال[19]:

وليلٍ كموْج البحْرِ أَرخى سُدُولَهُ عليَّ بـأَنـواع الهمُـوم ليَـبْتَـلِي
فقلـتُ له لمَّا تمطَّــى بصُلْبِــهِ وأَرْدَفَ أَعْجـازًا ونـاءَ بـكَـلكـلِ
أَلَا أَيُّها اللَّيْلُ الطويلُ أَلا انْجَل بِصبحٍ وما الإِصباحُ مِنك بأَمثَلِ

فشبهه بموج البحر للدلالة على الامتداد والاندماج الماثل لليل تجاه الشاعر، وانتفاء النهاية المرتبطة بالاستمرار الأزلي، رابطًا بين الليل والهموم التي عبر عنها بالجمع ليدلل على حجم المعاناة التي يعانيها أثناءه، علمًا بأن "الطول الممنوح للفترات الزمنية ذو أثر نفسي يرتبط بالتأثير الذي تتركه الأحداث الخارجية -كالليل وما فيه- على النفس[20]"، وكذلك صور المهلهل بن ربيعة الليل وطوله قائلًا[21]:

بَاتَ لَيْلِي بِالأَنْعَمَيْنِ طَوِيلَا أَرْقُبُ النَّجْمَ سَاهِرًا لَنْ يَزُولَا

فانعكس أثر المكان (الأنعمين) في نفس الشاعر على الليل الذي دلل على طوله بمراقبته للنجم الذي يأبى أن يزول، وقال الحارث بن عباد مصورا طول الليل[22]:

قَرِبا مَرْبِطَ النَّعامَةِ مِنّي طالَ لَيْلي عن اللّيالي الطِّوالِ

فليله طويل، بل ازداد طولًا على الليالي التي عُهِدَ طولها، نظرًا للهم الجاثم على صدره في إرادته للثأر من قاتل ابنه، فهو يأمر بتقريب مربط فرسه منه مؤذنًا بطول الليل الذي يرغب فيه بالثأر، أما المثقب العبدي فصور العناء الذي يلاقيه أثناء الليل، إذ قال[23]:

ظِلِلْتُ أَرُدُّ العَيْـنَ عَنْ عَبَرَاتِـهَـا إذَا نُزِفَـتْ كانَتْ سِـرَاعًا جُمُـومُهَـا
كأَنِّي أُقَاسِي مِنْ سَوَابِـقِ عَبْـرَةٍ ومِنْ لَيْلَةٍ قَدْ ضَافَ صَدْرِي هُمُومُهَا
تُـرَدُّ بـأَثْنَـاءٍ كَـأَنَّ نُجُـومَهَـا حَيَارَى إذَا ما قُلْتُ: غَـابَ نُجُومُـهَا
فَبِتُّ أَضُمُّ الرُّكْبتَينِ إلى الحَشَا كـأَنِّي رَاقِـي حَـيَّـةٍ أَو سَلِيـمُـهَا

فالهم لازمه في تلك الليلة، التي أكد الشاعر على طولها مدللًا على ذلك بثبات نجومها، واصفًا حاله فيها فهو بائس حزين، وقلبه مكلوم، وكذلك عدي بن زيد العبادي الذي ذكر ألمه في الليل الطويل قارنًا طول الليل، بالهم، قال[24]:

طالَ ذا اللَّيْلُ علينا فاعتَكَـر وكأَنِّي ناذرُ الصُّبْـحِ سَمَـر
مِنْ نَجِيِّ الهَمِّ عنـدي ثـاوِيًـا بينَ ما أَعلِـنُ منـهُ وأُسِـر
وكـأَنَّ اللَّيْـلَ فيـه مِثْـلُـهُ وَلَقِدْمًا ظُنَّ باللَّيْلِ القِصَر
لَمْ أُغَمِّضْ طولَهُ حتَّى انقَضَى أتَمَنَّى لَو أَرَى الصُّبْحَ جَشَر

فهو يتمنى زوال الليل بأكمله لارتباطه بالهم عنده، وامتناع النوم عنه، فالليل عنده مكان يرتبط به الأذى الذي لا يمكن زواله إلا بزوال الليل "فانعكس إحساس الشاعر إزاء الليل كزمن ثابت لا يكاد ينقضي على شعره الذي عبر فيه عن المشهد اللوني الكئيب الذي يوحي به سواد الليل، ويطرحه ظلامه، فهذا السواد أقرب إلى نفسية المكتئب وقتامة عالمه، حتى ليعيش على أمنية الخلاص منه[25]"، وقال النابغة الذبياني ذاكرًا الليل[26]:

فإنَّك كاللَّيلِ الـذي هو مُـدْركي وإن خِلت أن المُنتأى عنك واسعُ
خطاطيفُ حُجْن في حبالٍ متينةٍ تـمُـد بهـا أيدٍ إليـكَ نـوازعُ

أراد تصوير قوة النعمان بن المنذر وسعة انتشاره وقدرته على الوصول إليه أيا كان مكانه، فشبهه بالليل، ووجه الشبه بينهما هو صورة الليل في نفسه، فالليل عنده موحش مخيف لا يقدر تجاهه سوى على الاستسلام، ولا يمكنه معه سوى الخضوع، نظرًا لأنه مدركه لا محالة فهو موجود في كل مكان، وماكث في كل جانب، وقال أيضًا[27]:

كليني لهم يا أُميمة نـاصـب وليـلٍ أُقاسيـهِ بطيء الكـواكـبِ
تطاول حتى قُلت ليس بمُنقضٍ وليس الذي يرعى النجومَ بـآيـبِ
وصدرٍ أراح اللَّيل عازب همـهِ تضاعف فيه الحزن من كل جانبِ

فالليل طويل، بطيء المضي، مرتبط بالهم الجاثم، والحزن المتضاعف، وقال عبيد بن الأبرص[28]:

وخَرقٍ تَصِيحُ الهَامُ فِيهِ مع الصَّدى مخوفٍ إذا ما جَنَّهُ اللَّيلُ مَرْهُوب

فقد ذكر العوامل التي تضفي على الليل طابع الرهبة والرعب، وهي صياح البوم الذي تضاعف على وسع الصحراء، مما جعل الليل أكثر إخافة، وفي مثل ذلك قال الأعشى[29]:

لا يَسْمَعُ المَرء فِيهَا ما يُؤَنِّسُهُ بالليلِ إلَّا نَئيمَ البُومِ والضُّوَعَا

فلم يذكر الليل على أنه "مجرد ظرف زماني معتم بهيم، بل أضاف إليه ملامح أخرى تزيده جهامة، وتجعل لصورته وقعا للرهبة أشد[30]"، "ففي ظلال صعوبات الليل وكآبته يتركز اليأس، ولا يبزغ الأمل[31]"، إلا عند مضي الليل وظهور الإشراق.

فشعراء العصر الجاهلي صوروا إحساس الشاعر بالخوف والوحشة من الليل، وهذه هي الصورة الشائعة عند معظم شعراء الجاهلية، فالليل عندهم طويل مخيف موحش، وكانوا يتمنون زواله وانجلاءه.

3-المتغير الأسلوبي (الليل) عند الشعراء الصعاليك:

الكلمة عندما ترد لأول وهلة تثير في نفس المتلقي انفعالات معينة مرتبطة بها، فكلمة (ليل) باعتبارها "علامة متواضع عليها في شفرة من النوع اللساني[32]"، تدرك عبر " البنية النظمية الخاصة بها، والمفردات المستعملة في التعبير عنها[33]"، وبذلك اختلفت صورة الليل بين الصعاليك وبين غيرهم من شعراء العصر الجاهلي، كما ظهرت في صورة الليل عند الصعاليك أنفسهم تغيرات أسلوبية، "فالأسلوبية أساسها البحث في طرافة الإبداع وتميز النصوص[34]"، "عبر البحث في الصفات التي تجعل لعمل أدبي ما خصوصية تميزه عن كل ما عداه[35]"، " وذلك في الانطلاق من الظاهرة اللغوية، ومختلف مواد البناء والأداء في الكلام عامة، وتركيز النظر على كيفيات التعبير المعربة عن صور الشعور والتفكير[36]".

ويعود تغير الأساليب بين الشعراء إلى "استقلال الذات في تكوين وجودها المميز، بالنظر إلى الأسلوب على أنه اختيار فردي يرصد إمكانيات اللغة، ويختار منها ما يمكنه من إدراك مسعاه في التعبير[37]"، لارتباط ذلك بالذاتية التي تدل على "الوعي الداخلي للذات[38]"، فيتبدى المتغير الأسلوبي عبر انزياح الشاعر عن الخطاب العادي المتمثل بصورة الليل في الخطاب الشائع "فالليل تحول في خيال الشاعر العربي قديمًا من كونه ظاهرة طبيعية إلى كونه زمانًا لتجارب حياتية تجسدت فيها رؤى الشعراء ومواقفهم ومشاعرهم، والمعنى الذي ظل غالبًا على الليل هو أنه جالب للهم وباعث لقتامة النفس[39]"، فالانزياح يقوم به الشاعر عبر "التصرف في دلالات اللغة بما يخرج عن المألوف[40]"، " أي الخروج عن المعيار المتعارف عليه في الاستعمال الدارج[41]"،

وفيما يأتي تحليل لأبيات الصعاليك، نبين فيه كيف تغير أسلوب استعمال لفظة (الليل)، وعرض أسباب هذا التغير:

أولًا: عمرو بن براق:

قال[42]:

تَقُولُ سُلَيْمَى لَا تَــعَــرَّض لِتَلْـفَـةٍ وَلَيْلُكَ مِنْ لَيْل الصَّعَالِيكِ نَائِمُ
وَكَيْفَ يَنَامُ اللَّيْلَ مَنْ جُــلُّ مَالِــهِ حُسَامٌ كَلَوْنِ المِلْحِ أَبْيضُ صَارِمُ
أَلَم تَعْلَمِي أَنَّ الصَّعَالِيكَ نَوْمُهُمْ قَلِيْلٌ إِذَا نَامَ البَطِيـنُ المُسَالِـمُ
جُرَازٌ إِذَا مَسَّ الضَّريبةَ لَم يَـدَع بِهَا طَمَعًا طَـوْعُ اليَدَيْـنِ مُكَـارِمُ
إِذَا اللَّيْلُ أَدْجَى وَاكْفَهَرَّ ظَلَامُـهُ وَصَاحَ مِن الأَفْرَاطِ بُومٌ جَوَاثِمُ
وَمَالَ بَأَصْحَابِ الكَرَى غَالِباتُــهُ فَــإِنِّي عَلَى أَمْرِ الغَوَايَـةِ حَـازِمُ

وصف الليل عندهم، وعبر عنه بليل الصعاليك، فهذه الليل له صفات خاصة حتى عده بليل خاص للصعاليك، فأخذ يذكر بأن الصعلوك لا ينام في الليل، وهو شجاع لا يهابه ولا يخشى ما فيه من أهوال، فبينما ينام الناس في الليل نظرًا لانتهاء النهار الذي يمثل عندهم الحياة والحركة، إلا إن الصعلوك لا ينام، بل إن الليل عنده بداية للعمل والحركة، فهو يمثل عنده غطاء وسترًا يساعد على القيام بالغارات والسرقة.

ويتضح من هذه الأبيات بأن الليل عند الشاعر الصعلوك إنما هو مصدر للفخر وميدان لإبراز قوة النفس ورباطة الجأش، فهو يسير وينطلق في أرجاء الصحراء إذا أتى الليل، واستخدم صورًا دقيقة بين لنا من خلالها مدى هول الليل ووحشته، مقابل شجاعته وقوة قلبه، فعبر بإذا الفجائية الشرطية في قوله: (إذا الليل أدجى)، وكأنه تجاوز كل مراحل مجيئ الليل من بداية غروب الشمس إلى زوالها تمامًا، وكأن الليل زائر يظهر فجأة ومن دون مقدمات، وذلك مما يظهر لنا مدى ثقل هذا الليل على الجاهلي كصورة عامة، فهو يظهر فجأة، وفي قوله: (أدجى) تعبير عن عمق الظلمة وتوغلها، محددًا وقتًا خاصًا من الليل، وهو الوقت الذي يكون فيه الليل ذا ظلمة قاتمة، فهو من "دَجَّجَتِ السَّماءُ إِذا تَغَيَّمَت[43]"، فهذا الليل ليس مظلمًا فحسب، بل هو ليل مظلم غائم متراكم جمعه كثير سواده، مما دل على الإفراط في تصوير الظلمة.

وجعل الشاعر الفعل متعديًا بالهمزة مما يدل على أن الفعل هذا إنما هو حاصل من الليل، فكأن الليل هو شخص أدجى وأظلم، وهذه اللفظة تدل على حالة التحول التي انتابت الليل، وفي تعبيره بالفعل الماضي (أدجى) دلالة على حدوث الفعل فهذا الليل أسود فلا مفر من زواله، كما يدل هذا الفعل على الثبات فهذا السواد لم يزل بل هو موجود متفش في أرجاء الصحراء.

وتابع الشاعر تصوير هذا الليل المخيف فقال: (واكفهر ظلامه)، والكفر من التغطية، قال تعالى: (كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ)[44]، والمراد بالكفار في الآية "الزُّراع لأنهم يغطون البذر"[45] جاء في لسان العرب: "الكُفْرُ: التَّغْطِيةُ، وَكَفَرتُ الشَّيءَ أَكْفِرُهُ، أي سَتَرْتُهُ، وَالكافِرُ: اللَّيْلُ، وفِي الصِّحاحِ: اللَّيْلُ المُظلمُ، لأَنَّهُ يَسْتُرُ بِظُلْمَتِهِ كُلَّ شَيءٍ، وَكَفَرَ اللَّيْلُ الشَّيءَ وَكَفَرَ عَلَيْهِ: غَطَّاهُ، وكَفَرَ اللَّيْلُ عَلَى أَثَرِ صاحِبِي: غَطَّاهُ بِسَوادِهِ وَظُلْمَتِهِ[46]"، وقال: "كُلُّ ما غَطَّى شَيْئًا فَقَدْ كَفَرَهُ، وَمِنْهُ قِيْلَ لِلَّيْلِ كافِرٌ، لأَنَّهُ سَتَرَ بِظُلْمَتِهِ كُلَّ شَيءٍ وَغَطَّاهُ[47]" فصور زمن الليل المثالي للشاعر الصعوك، ذاكرًا الصفات التي يتوجب أن تكون فيه، موغلًا بما يخيف من صفات ليدلل بها على شدة بأسه وقوته، فمهما اشتد ظلام الليل وازداد، إلا إنه قوي لا يخشاه، بل إن هذا الوقت هو أمثل وقت يبزغ فيه الشاعر ويمضي ويتنقل.

ثم قال: (وصاح من الإفراط بوم جواثم)، أي أن هذا الليل قد اشتد واسود وعمق زمنه، حتى سُمِع فيه صياح البوم، ثم وصفها بأنها (جواثم)، حيث عبر بالمصدر للدلالة على اللزوم والثبات، فالبوم قابع في الصحراء، كائن بها لا يكاد يبرح عنها، وذلك مما يزيد من هول الليل في الصحراء، كما أضفى تعبيرًا آخر في قوله: (ومال بأصحاب الكرى غالباته)، فهو يحدد زمنًا خاصًا من الليل، وهو الوقت الذي لا يتمكن فيه أصحاب السهر المعتاد فبي الليل من المكوث فيه ، بل ينامون ويغلبهم النعاس ، ففي هذا الوقت ينطلق الشاعر ويحزم أمره على الغزو، وكل ذلك يدل على قوة هذا الشاعر وشدة بأسه، ففي الوقت المخيف الذي يسكن به الناس إلى مساكنهم ويستكينون في خيامهم، يخرج إلى الصحراء ويغزو فيها من يشاء ويفعل ما يريد، فهو أقوى من كل ذلك.

وهنا تظهر المفارقة الكامنة من الصورة الكلية التي ضمنها الشاعر جميع أجزاء البيت، فالصورة الكلية تضمنت ليلًا ذا لون أسود قاتم، يسري بين أرجائه صوت البوم، ويصاحبه نوم الساهرين الذين انهزموا أمام هذا الليل، مما زاد في وحشة الصورة وهولها، أما المفارقة فقد تبدت لنا من خلال بيان حال الشاعر وبين حال غيره، فهو يغزو ويفعل ما يريد في هذه الصحراء، أما غيره من الناس فهم إما نيام وإما قابعين مستكينين في خيامهم خوف الليل وأهواله.

ثانيًا: الشنفرى:

قال[48]:

وَلَيْلَةِ نَحْسٍ يَصطَلِي القَوْسَ رَبُّهَا ... وَأَقْطَعَهُ اللَّاتِي بِهَا يَتَنَبَّلُ

دَعَسْتُ عَلَى غَطْشٍ[49] وَبَغْشٍ[50] وَصُحْبَتِي ... سُعَارٌ[51] وَإِرزِيزٌ[52] وَوَجْرٌ[53] وَأَفْكُلُ[54]

فَأَيَّمْتُ نِسْوَانًا وَأَيْتَمْتُ أُلْدَةً ... وَعُدْتُ كَمَا أَبْدَأْتُ وَاللَّيْلُ أَلْيَلُ

وَأَصْبَحَ عني بِالغُمَيْصَاءِ جَالِسًا ... فَرِيقَانِ مَسْؤُولٌ وَآخَرُ يَسْأَلُ

فَقَالُوا لَقَد هَـرَّت[55] بِلَيْـــلٍ كِـلَابُـنَـــا فَقُلْنَا أَذِئـبٌ عَسَّ[56] أَمْ عَـسَّ فُـرْغُـل
فَلَـــمْ تَـــكُ إِلَّا نَـبْـأَةً ثُـــمَّ هَـوَّمَـــتْ فَقُلْنَا قَطَاةٌ رِيْـعَ أَمْ رِيَـــعَ أَجْـدَلُ
فَإِنْ يَـكُ مِنْ جِـنٍّ لأَبَـــرحُ طَـــارِقًـــا وَإِنْ يـــك أُنسًا مَـاكَهَا الأُنْسُ تَفْعَلُ

لابد لنا أن نتساءل عن الصورة التي أراد الشنفرى أن يعبر عنها فيما يخص الليل؟، وكيف كان الليل عنده؟، وهل تفرد في تصويره؟، وهل تفوق تصويره لليل على تصوير عمرو بن براق؟، وللإجابة عن ذلك نشير إلى أن هذه الأبيات تصور لنا الليل من منظور آخر بالنسبة للصعلوك، فهناك علاقة وثيقة بين الصعلوك وبين الليل صورها الشنفرى، فالليل أداة من الأدوات، ووسيلة من الوسائل التي لابد أن تكون متوافرة للصعلوك، إذ يحتاج إلى سلاح كما يحتاج إلى فرس سريع، ويحتاج إلى ليل يكون غطاء لهذا الصعلوك ليقوم بفعل ما يريد تحت رداء ظلمته.

فأخذ يصف هذه الليلة التي لا يقدر أحد على احتمالها سواه، لأنه صعلوك قوي، "والعلاقة بين المكان في الأدب والمكان على الأرض لا تعكسها الكلمات ولا المسميات، بل تعكسها تلك اللغة المشتركة وذلك الإحساس الدفين، وذلك المناخ الذي يتيح لك أن ترى ما لا يمكن أن تراه، وأن تسمع كل الأصوات التي مثلت الحياة في فترة من الزمن[57]"، وهذا ما فعله الشنفرى واصفًا الليل من حيث الزمان وتفاصيل المكان، ذاكرًا الأمور العظيمة التي فعلها في تلك الليلة، حيث واجه الظلمة القاتمة، والمطر، والبرد، والخوف، والارتعاش، كما واجه الجوع والألم، فالشنفرى واجه كل هذه الأمور وهزمها، ثم ذكر بعد ذلك نتيجة غاراته، فقد أيم كثيرًا من النساء، ويتم الكثير من الأولاد، وكل ذلك بسبب قتله الكثير من الرجال، فذكر النتيجة وأخفى السبب، وذلك مما أعطى البيت روعة بلاغية جميلة، ثم ذكر بأنه فعل كل ذلك والليل أليل، أي شديد الظلمة.

وفي قوله: (دعست على غطش)، دلت على شدة ظلمة هذا الليل، قال تعالى: (وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا)[58]، أي "جَعَلَ لَيْلَهَا مُظْلِمًا أَسْوَدَ حَالِكًا، وقال ابْنُ عَبَّاسٍ: أَغْطَشَ لَيْلَهَا أَظْلَمَهُ[59]"، فالغطش كلمة ترادف الظلمة وتدل على الظلمة الحالكة التي يصعب الاهتداء في أثنائها إلى أي مكان، فعبر الشاعر عن الليل بصفته فلم يقل الشاعر بأنه سار في الليل المظلم الأسود القاتم، بل جمع كل هذه الصفات بقوله: (غطش)، فاشتملت الصفة المنكرة على كل صفات ظلمة الليل.

وفي قوله: (والليل أليل) بين لنا مدى ظلمة هذا الليل الحالك فأتى بصفة لليل من جنسه وجعلها على وزن أفعل، فصار الليل بذلك ذا ظلمة مضاعفة، وجعلنا الشاعر نشعر بشدة الظلمة التي كانت آنذاك حينما كان يقوم بالإغارة.

ونلاحظ أن لفظة الليل كمتغير أسلوبي اختلفت بين كل من الشنفرى، وعمرو بن براق، فحينما صور عمرو الليل وظلمته وما فيه من أهوال، فصَّل الشنفرى في بيان حال الصعلوك في هذا الليل وكيفية مواجهته لصعابه.

ثالثًا: تأبط شراً:

قال[60]:

وَلَيْلٍ بَهِيمٍ كُلَّمَا قُلْتُ غَوَّرَتْ كَواكِبُهُ عَادَتْ فَمَا تَتَزَيَّلُ

بِهَا الرَّكْبُ أيمَا يَمَّمَ الرَّكْبُ يَمَّمُوا وإنْ لَمْ تَلُحْ فالقَوْمُ بالسَّيْرِ جُهَّلُ

بدأ بوصف سواد الليل في قوله: (بهيم)، جاء في لسان العرب: "لَيْلٌ بَهِيم: لا ضَوْءَ فِيْهِ إلى الصَّبَاح[61]"، فوصف الليل بصفة محسوسة وهي صفة الظلمة الشديدة الحالكة، ثم بين طوله في صورة رائعة استقت مكوناتها من نجوم السماء، إذ كثيراً ما يربط الشعراء طول الليل بنجومه وكأنهم عندما يتساءلون عن طول هذا الليل، ينظرون إلى السماء فيرون النجوم فيظنون أنها السبب في طوله فهي مشدودة فيه، أو هي علامة ورمز للدلالة على طوله فمتى ذهبت ذهب الليل معها، ودلل على شدة ظلمة الليل بنجومه، فالليل طويل بنجومه الثابتة، وهو مظلم حالك إذا لم تلح هذه النجوم في سماء الليل، وأخذ بالتحدث عن النجوم وفوائدها العظيمة التي تنفع المسافرين الخائضين في غمار الصحراء فبها يهتدي القوم إلى طريقهم، أما إذا لم تلح هذه النجوم ولم تظهر، فمصيرهم الضياع.

ونلاحظ مفارقة كامنة في أن الصعلوك عادة ما يفضل الليل، فهناك علاقة وثيقة بينهما، فالليل هو الوقت المثالي للقيام بالإغارة على خيام القبائل المختلفة، وهو غطاء مناسب يمنع الصعلوك من أن يلاحظه غيره مما يساعده على سهولة الإغارة على الآخرين وسهولة الفرار عند اللحاق به، فهو يعرف الصحراء في الليل كيف تكون وأين مخابئها، فيتمكن بالتالي من الهرب بسهولة، بخلاف غيره من الناس الذين يجهلون الصحراء في الليل، ونتيجة لذلك كثيرًا ما يتوقفون عن اللحاق بالصعلوك خوف الخوض في غمار الصحراء فيتيهون فيها، خاصة في وقت الليل، إلا إن تأبط شرًا يستطيل الليل هنا، ويريده أن يذهب.

فجاء تصوير تأبط شرًا لليل في هذين البيتين مشابهًا لتصوير غير الصعاليك من الشعراء، وذلك يؤكد على أن الفكرة الأصيلة وهي كون الليل موحش طويل، هي الفكرة الشائعة الثابتة، وما سواها هو انزياح عنها، وفي أبيات أخرى قال تأبط شراً[62]:

وأدْهَمَ قَدْ جُبْتُ جِلْبَابَهُ كَما اجْتَابَتِ الكَاعِبُ الخَيْعَلَا

إلى أنْ حَدَا الصُّبْحُ أثْنَاءَهُ وَمَزَّقَ جِلْبَابَهُ الأَلْيَلَا

عبر عن الليل وبين حاله فيه، كما صور هيئة الليل عند مجيء الصبح عليه وانقضائه، فوصف الليل بأنه أدهم، والأدهم في اللغة هو الأسود[63] فعدل الشاعر عن تسمية الليل باسمه صراحة، إلى تسميته باسم صفة من صفاته وهي السواد، كما فعل في البيت السالف، ثم أضاف صورة بلاغية رائعة عندما قال: (قد جبت جلبابه)، فصور الليل كإنسان له جلباب، فحذف المشبه به ودلل عليه بذكر صفة من صفاته على سبيل الاستعارة المكنية، وجمال هذه الصورة ظهر عبر

تصويره الليل وما فيه من ظلمة متراكبة، ظلمة فوق ظلمة، وسوادًا فوق سواد، فشبه كل ذلك وكأنه جلباب أو غطاء، والشاعر قد جاب فيه، وشبه هيئته وهو يجوب أرجاء الليل بالمرأة التي تجتاب الثوب أي تلبسه، فكأن الشاعر وهو يجوب أنحاء الليل تَرَكَّبَ مع الليل وصار معه كأنه قطعة واحدة، وفي إضفاء صورة الوحشة هذه على الليل، تأكيد على قوة بأس الشاعر الصعلوك الذي خاض أنحاءه.

ثم صور الصبح وقد أتى على الليل، واصفًا الليل بالأليل، كما فعل الشنفرى، فكل منهما أتى بلفظ (الأليل) لكن اختلف أسلوب استعماله بينهما والغرض منه، فالشنفرى ضمنه توقيتًا لفعل الحدث الذي قام فيه بالإغارة، أما تأبط شرًا فاستعمله كوصف يبين فيه مدى قوة الصبح الذي لم يقف الليل ندًا له، على الرغم من اشتداد ظلمته إذ كان الليل (أليل)، مصور الصبح وكأنه إنسان مزق الليل وقطعه، أي مزق ظلمة الليل الحالكة التي كان الليل يخيف بها كل من يجرؤ على السير في أثنائه.

ونلاحظ براعة في استخدام الفعل(مزق)، فقد استخدم الفعل (مزق) دون الفعل (قطع) أو الفعل (بدد) أو (فرق)، وذلك لأن الفعل (مزق) كان أبلغ في الدلالة على صورة الصبح القوي، فالشاعر كان قد صور الليل بأنه له جلباب، والجلباب يُمَزَّق، كما وأن في التمزيق قوة وشدة وعنف لابد أن تكون موجودة في الصبح حتى يستطيع مواجهة الليل، فالليل كان مخيفًا مهيلًا يخيف الجميع بما فيه من ظلمة وأهوال، فكان لابد لليل من شيء أقوى منه حتى يقدر عليه، فجاء الصبح ومزق جلباب الليل وجعله ضعيفًا إلى أن قضى عليه وأهلكه وأمحاه، فشبه الشاعر الصبح بالإنسان الذي يمزق على سبيل الاستعارة المكنية، حيث حذف المشبه به ودلل عليه بصفة من صفاته (التمزيق).

وفي هذه الأبيات تظهر لنا مفارقة رائعة، فقد كان الليل مخيفًا مهيلًا مرعبًا ثم تحول إلى ضعيف ذليل منكسر هالك.

رابعًا: عروة بن الورد:

قال[64]:

فيومًا على نـجـدٍ وغـاراتِ أهـلهـا ... ويومًا بأرضٍ ذات شـتٍّ وعرعـر

يناقلن بالشُّمط الكِرام أولى القـوى ... نقابَ الحجاز في السريح المسير

يريح عَليَّ الليـلُ أضيـافَ ماجـدٍ ... كريم ومالي سارحًا مـال مقتـر

وها قد وصلنا إلى عروة بن الورد الذي يلقب بأبي الصعاليك الذي أخرنا الحديث عن صورة الليل عنده نظرًا لتميزها، فبدأ في هذه الأبيات بوصف حياة الصعلوك، فهي غير مستقرة، ومليئة بالأحداث من الغارات والرحلات، ثم أخذ يتحدث عن ليلته وماذا يفعل بها، فهو لا ينام بل يظل مستيقظًا، لكن لأي غرض؟ ولأي غاية؟

والغاية هي غاية نبيلة لم تكن متوقعة من شخص يقوم بالغارات المختلفة ليسرق، وهذه الغاية هي الكرم والعطاء، وبذلك كانت هناك علاقة وثيقة بينه وبين الليل الذي كان ينتظره بلهفة، مشبهًا إياه بإنسان يجلب إليه الضيوف، في قوله: (يريح علي الليل أضياف ماجد)،إذ كان يساعد الفقراء والمستضعفين الذين أجهدهم الفقر وأهزلهم الجوع، وأذلتهم الأوضاع الاجتماعية وسدت الحياة في وجوههم سبل العيش، فعُدَّ عروة عندهم بمثابة مكان للاحتماء من هذا الليل ومن أهواله،

فالإقصاء الذي أحدثه المجتمع لجماعة الصعاليك، وما استتبعه من تهميش ورفض، انبثقت منه مظاهر إيجابية "تلعب دور المعدل لتوجهات المجتمع في التمرد على القيم المادية، والأعراف التي تكرس التمييز، والتصدي للظلم والإجحاف، عبر أداء خدمات جليلة للإنسانية[65]"،وفي أبيات أخرى، قال عروة مصورًا الليل وما ينبغي فيه[66]:

لحى الله صعلوكًا إذا جن ليلَـهُ مصافي المشاشِ آلفًا كل مجــزر
يعد الغنى من نفسِه كلّ ليلــة أصابَ قِراها من صديق ميسـر
ينام عِشاء ثم يصبح نـاعسًـا يحثُّ الحصى عن جَنبِه المتعفر
قليلُ التماسِ الـزادِ إلا لنفسه إذا هو أمسَى كالعريش المجــور
يُعينُ نساء الـحي ما يستـعنَّـه ويمسي طليحًا كالبعير المحسـر
ولكن صعلوكًا صفيحة وجهه كضوءِ شهاب القابس المتنــور
مُطِلًّا على أعدائِه يزجرونــه بساحتهم زجرَ المنيـح المشــهر
إذا بَعُدوا لا يأمنون اقترابَـه تشوف أهــل الغائــب المتنظَّـر
فذلك إن يلق المنية يَـلقَهـا حميدًا وإن يستغنِ يومًا فأجدرِ

فنسب مادحًا الليل إلى الصعلوك، واضعًا اعتبارات يختص بها الصعاليك في ليلهم، معبرًا عن مفارقة بين صنفين من الصعاليك، الصنف الأول: هم أسوأ طوائف الصعاليك عنده، وهم الذين يقضون حياتهم في خمول وهوان وتخاذل، وقعود عن طلب الغنى، وهم يمكثون في الخيام إذا حل الليل خوفًا منه، فهؤلاء عنده ليسوا بصعاليك، أما الصعلوك الحق الذي يمثل الصنف الثاني: فهو الذي لا يقف شيء في طريقه حتى الليل وما فيه من أهوال، وهو الذي يقضي حياته بالعمل والكفاح والمغامرة.

فلفظة الليل كمتغير أسلوبي كانت متفردة عنده، فقد نقل صورة الليل من التعبير المعجمي الذي يصور الليل على أنه وقت مخيف مرعب موحش، إلى التعبير عن الليل على أنه وقت للأمل والعطاء والكرم، وبالتالي انتقلت صورة الليل من وقت للهموم والأحزان، إلى وقت للسعادة والهناء، نظرًا لسعادة الفقراء فيه من عطاء عروة.

ومع أن باقي الصعاليك صوروا الليل ووحشته وظلمته بصور رائعة إلا إنها لم تكن متفردة كصورة عروة بن الورد التي زاد من جمالها الإحساس بصدق التجربة الشعورية، وكونها ترمي إلى هدف اجتماعي نبيل جاء من ذات إنسان يقوم بالإغارة على الأغنياء ليعطي الفقراء، مما كون مفارقة رائعة اندمجت فيها صورتين متناقضتين هما: صورة السارق، وصورة الكريم، من جهة وصورة الأنانية في السرقة، وصورة البذل والعطاء والسخاء بلا مقابل، واجتماع ذلك كله في شخصية واحدة.

ومن كل ما سبق نستنتج بأن المشتركة تكون واحدة عند كل الشعراء، لكنها اصطبغت عند كل شاعر بصبغة جديدة وأصبح لها معنى جديدًا اكتسبت من خلاله دلالات جديدة، فاللفظة هي واحدة لكنها تغيرت تبعًا لتغير الأسلوب، وهذا ما حدث في كلمة (الليل)، إذ انعكس أثر اختلاف الصعاليك عما سواهم في العصر الجاهلي وما نتج عنه من اغتراب على شعرهم، فجاءت صورهم مختلفة "ففي المجتمع الطبقي يتوسل الإنسان في اغترابه داخل المجتمع بالفن، ليكشف جذور اغترابه في العلاقات الاجتماعية، وليؤكد شوقه إلى نفي هذا الاغتراب، فجاء لذلك الفن فنًا جمعيًا لجماعة ساعية إلى توكيد إنسانيتها بمواجهتها لعالمها الطبيعي، لذا كان فنها قوة لتماسكها، ودعمًا لوجودها الاجتماعي[67]"، لذلك فإن صورة الليل عند الصعاليك وإن كانت متفردة عن صورة غيرهم من شعراء العصر الجاهلي، وإن ظهر فيها بعض الاختلاف فيما بينهم، لكنه صورة جمعية تمثل فكر جماعة الصعاليك المتماثل، نظرًا للحياة المتشابهة التي خاضوا غمارها.

فصوروا الليل على أنه ميدان للفخار يفخر فيه الشاعر الصعلوك مبينًا مدى قوته واستطاعته على مواجهة صعابه وأهواله، وهذه الصورة عامة عندهم، ولو تساءلنا عن سبب ورود هذه الصورة عند كل الصعاليك؟، فإننا نجد أن ذلك إنما يعود إلى عامل نفسي، فالليل في فطرة الإنسان يمثل السكن والراحة والمكث قال الله عزو وجل: (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا)[68]، وقال عز وجل: (أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا)[69]، إلا أن الصعلوك فرد نبذ من المجتمع، وفرض عليه الانفصال عنه فأدى ذلك إلى أن يجعل من كل ما هو خلاف ما اعتاده الآخرين مذهبًا له، وذلك لنفوره من المجتمع فجعل من الليل صاحبًا، فأوجد بذلك قناعات خاصة تمثله و تميزه عما هم سواه.

وإذا ما أجملنا عرض المتغير الأسلوبي الذي جاءت عليه لفظة الليل بين الصعاليك، فإنه كان كما يأتي:

فالشنفرى يتخذ من الليل أداة من أدوات الغزو ووسيلة من وسائل التصعلك، والليل عنده سلاح كالدرع أو الغطاء الذي يمكنه من الإغارة على القبائل الأخرى بسرعة وإتقان، أما تأبط شرًا فالليل عنده تارة يكون ميدانًا لإظهار قوته ورباطة جأشه، فهو قوي لا يهاب صعاب

الليل وأهواله، وتارة يكون الليل عنده ليلًا طويلًا حالكًا مظلمًا لا يقدر عليه إلا الصعلوك، ولا يعرف ما فيه إلا الصعلوك، أما عمرو بن براق فما وقت أفضل عنده من وقت الليل، فالليل نديم الصعاليك، أما ليل عروة بن الورد فمختلف تمامًا، لأن الليل عنده وقت للكرم والسخاء والعطاء، ففي ليل عروة يتوافد الجياع والمساكين، وينهلون من عطائه، فهو يطعمهم ويكسوهم كأنه أب لهم قد عمل طوال اليوم فإذا ما أتى وقت الليل فإنه يأخذ بإطعام أبنائه، فعروة ينتظر حلول الليل خلافًا لبقية الشعراء الجاهليين الذين ينتظرون انقضاء هذا الليل ويتمنون زواله.

الخاتمة:

كان الصعاليك جماعة متفردة في كل شيء، فهم انفردوا عن قبائلهم وخرجوا منها، وانفردوا كذلك في تعبيراتهم الشعرية عن باقي شعراء العصر الجاهلي، فعندما كان الليل وقتًا للهموم والأحزان عند الشعراء، تغير إلى وقت لإظهار المفاخر وإبرازها ووقت للشجاعة والقوة عند الصعاليك.

وقد قمنا في هذا البحث بدارسة المتغير الأسلوبي في لفظة (الليل) عند أربعة من الشعراء الصعاليك الجاهليين وهم: عمرو بن براق، والشنفرى، وتأبط شراً، وعروة بن الورد، وقسمناه إلى دراسة المواضيع الآتية:

1-ظاهرة الصعلكة وانعكاسها على صور شعرائها.

2-صورة الليل عند شعراء العصر الجاهلي.

3-المتغير الأسلوبي الليل عند الشعراء الصعاليك.

وتوصلنا من خلال هذا البحث إلى أن دراسة المتغير الأسلوبي مهمة في تحليل النصوص الشعرية وتحليلها، وذلك لأنه يساعد على فهم النصوص كما يساعد على تذوق الصور الشعرية، وملاحظة اختلافها وتمايزها فيما بين الشعراء، واستنتجنا كذلك من خلال هذا البحث أن لفظة الليل عند الشعراء الصعاليك ظهرت فيها اختلافات فيما بينهم، إذ تغيرت عند كل شاعر حسب أسلوبه الشخصي، وكل شاعر أضفى عليها معنى خاصًا مشتق من تجربته الشعورية.

الهوامش:

[1] ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي بن منظور، **لسان العرب**، (القاهرة: دار المعارف، د.ت، د.ط)، تحقيق: عبد الله الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم الشاذلي، مادة (صعلك)، مج4/ص2451.

[2] نفسه، ص2452.

[3] الشنفرى، **ديوان الشنفرى ويليه ديوانا السليك بن السلكة وعمرو بن براق**، إعداد وتقديم: طلال حرب، (بيروت: دار صادر، 1996م، ط1)، ص58.

[4] يوسف خليف، **الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي**، (القاهرة: دار المعارف، د.ت، ط3)، ص 22، 23.

[5] ينظر المرجع نفسه، ص28.

[6] ينظر مصطفى النصراوي، **الهامشية " قراءة في واقع الانعزال الاجتماعي"**، تونس: دار سحر للنشر، 2009م، د.ط)، ص113.

[7] ديوانه، ص55، 56.

[8] عروة بن الورد، **ديوانه**، دراسة وشرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1418هـ-1998م، د.ط)، ص48.

[9] الحبيب العوادي، **جدلية المُبدِع والمُبدَع "قراءة في الأجناس الشعرية ضمن ديوان ابن حميدس الصقلي**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية-جامعة تونس، السلسلة (8)، ع20، 2007م، ط1.

[10] عبد المنعم تليمة، مقدمة في نظرية الأدب، (بيروت: دار التنوير، 2013م، ط1)، ص56.

[11] حسني عبد الجليل يوسف، **الأدب الجاهلي "قضايا، وفنون، ونصوص"**، (القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، 1431هـ - 2001م، ط1)، ص186.

[12] جليل رشيد فالح، **الليل في الشعر الجاهلي**، (العراق: آداب الرافدين، ع9-أيلول، 1978م)، ص534.

[13] مي يوسف خليف، **الاغتراب وسقوط الحلم "من شعراء المعلقات إلى المتنبي"**، (القاهرة: دار غريب، 2014م، د.ط)، ص21.

[14] ينظر ألجيرداس .ج غريماس، جاك فونتني، **سيميائيات الأهواء "من حالات الأشياء إلى حالات النفس"**، ترجمة: سعيد بنكراد، (بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2010م، ط1)، ص93.

[15] حسني عبد الجليل يوسف، **الأدب الجاهلي "قضايا، وفنون، ونصوص"**، ص438.

[16] مي يوسف خليف، نفسه.

[17] نوري حمودي القيسي، **الطبيعة في الشعر الجاهلي**، (بيروت: دار الإرشاد، 1390هـ - 1970م، ط1)، ص241.

[18] امرؤ القيس، **ديوانه**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: دار المعارف، د.ت، ط4)، ص19.

[19] الحسين بن أحمد الزوزني، **شرح المعلقات السبع**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1423هـ-2002م، ط1)، ص59، 60.

[20] ينظر بوميان، كريستوف، **نظام الزمان**، ترجمة: بدر الدين عركودي، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2009، ط1)، ص323.

[21] مهلهل بن ربيعة، **ديوانه**، شرح وتقديم: طلال حرب، (د.م: الدار العالمية، د.ت، د.ط)، ص62.

[22] الحارث بن عباد، **ديوانه**، جمع وتحقيق: أنس عبد الهادي أبو هلال، (أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث-المجمع الثقافي، 1429هـ-2008م، ط1)، ص202.

[23] المثقب العبدي، **ديوانه**، تحقيق وشرح: حسن كامل الصيرفي، (جامعة الدول العربية-معهد المخطوطات العربية، 1391هـ-1971م، د.ط)، ص236-238.

[24] عدي بن زيد العبادي، **ديوانه**، جمع وتحقيق: محمد جبار المعيبد، سلسلة كتب التراث (2)، (بغداد: شركة دار الجمهورية، 1385هـ-1965م، د.ط)، ص59.

[25] مي يوسف خليف، نفسه، ص22.

[26] النابغة الذبياني، **ديوانه**، شرح وتقديم: عباس عبد الستار، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1416هـ-1996م، ط3)، ص56.

[27] ديوانه، ص29.
[28] عبيد بن الأبرص، **ديوانه**، شرح: أشرف أحمد عدرة، (بيروت: دار الكتاب العربي، 1414هـ-1994م، ط1)، ص35.
[29] الأعشى، **ديوانه**، شرح وتعليق: محمد حسين، (مكتبة الآداب بالجماميز، د.ت، د.ط)، ص103.
[30] جليل رشيد فالح، **الليل في الشعر الجاهلي**، ص539.
[31] مي يوسف خليف، نفسه، ص29.
[32] جيرار جنات، التخيل والقول، ترجمة: الصادق قسمة، (تونس: المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا، 2014م، ط1)، ص238.
[33] ج.ب براون، ج.بول، تحليل الخطاب، ترجمة: محمد لطفي الزليطي، منير التريكي، (الرياض: النشر العلمي والمطابع-جامعة الملك سعود، 1418هـ-1997م)، ص267.
[34] محمد الهادي الطرابلسي، **تحاليل أسلوبية**، (تونس: دار الجنوب، 2015م، ط2)، ص7.
[35] شكري عياد، **علم الأسلوب**، (بيروت: دار التنوير، 2013م، ط1)، ص216.
[36] محمد الهادي الطرابلسي، نفسه، ص9.
[37] فرحان الحربي، **الأسلوبية والتحليل الأدبي**، (الأردن: دار الرضوان، 1437هـ-2016م، ط1)، ص29.
[38] سيلفان أورو، جاك ديشان، جمال كولوغلي، **فلسفة اللغة**، ترجمة: بسام بركة، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2012م، ط1)، ص347.
[39] الرباعي، عبد القادر، **جماليات المعنى الشعري "التشكيل والتأويل"**، (الأردن: دار جرير، 1430هـ-2009م، ط1)، ص185.
[40] أيوب جرجيس العطية، **الأسلوبية في النقد العربي المعاصر**، (الأردن: عالم الكتب الحديث، 2014م، ط1)، ص279.
[41] توفيق محمود القرم، **الانزياح الأسلوبي في شعر السياب**، (السعودية: نادي الأحساء الأدبي، 1435هـ-2014م، د.ط)، ص67.
[42] عمرو بن براق، **ديوان الشنفرى ويليه ديوانا السليك بن السلكة وعمرو بن براق**، إعداد وتقديم: طلال حرب، (بيروت: دار صادر، 1996م، ط1)، ص107، 108.
[43] لسان العرب، مادة: (دجج)، مج2/ص1328.
[44] **سورة النمل**، الآية (20).
[45] محمد بن أحمد القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن الكريم**، تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، (القاهرة: دار الكتب المصرية، 1384هـ-1964م، ط2)، ج17/ص255.
[46] نفسه، مادة: (كفر)، مج5/ص3899.
[47] نفسه، ص3900.
[48] ديوانه، ص63، 64.
[49] غطش: ظلمة الليل، لسان العرب، مادة: (غطش)، مج5/ص3270.
[50] بغش: المطر الضعيف الصغير القطر، لسان العرب، مادة: (بغش)، مج1/ص319.
[51] سعار: الشدة من الجوع والعطش، لسان العرب، مادة: (سعر)، مج3/ص2015.
[52] إرزيز: شدة البرد، لسان العرب، مادة (أزر)، مج1/ص59.
[53] وجر: الخوف، لسان العرب، مادة (وجر)، مج6/ص4771.
[54] أفكل: الرعدة، لسان العرب، مادة (فكل)، مج4/ص3452.
[55] هرت: أصدرت صوتًا دون النباح من قلة الصبر على البرد، لسان العرب، مادة (هرر)، مج6/ص4650.

[56] عس: طاف بالليل، لسان العرب، مادة (عسس)، مج4/ص2941.
[57] فرحان الحربي، **الأسلوبية والتحليل الأدبي**، ص279.
[58] **سورة النازعات**، الآية (29).
[59] أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (بيروت: دار الكتب العلمية-منشورات محمد علي بيضون، 1419هـ، ط1)، ج8/ص318.
[60] تأبط شرًا، **ديوانه**، جمع وتحقيق وشرح: علي ذو الفقار شاكر، (د.م: دار الغرب الإسلامي، 1404هـ-1984م، ط1)، ص160.
[61] لسان العرب، مادة: (بهم)، مج1/ص376.
[62] ديوانه، ص164.
[63] لسان العرب، مادة: (دهم)، مج2/ص1443.

[64] ديوانه، ص69، 70.
[65] مصطفى النصراوي، **الهامشية " قراءة في واقع الانعزال الاجتماعي"**، ص230.
[66] ديوانه، ص68، 69.
[67] عبد المنعم تليمة، **مقدمة في نظرية الأدب**، ص62.
[68] **سورة النبأ**، الآية (10).
[69] **سورة النمل**، الآية (86).

المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم**.
- امرؤ القيس، **ديوانه**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: دار المعارف، د.ت، ط4).
- أورو، سيلفان، جاك ديشان، جمال كولوغلي، **فلسفة اللغة**، ترجمة: بسام بركة، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2012م، ط1).
- براون، ج.ب، ج.بول، **تحليل الخطاب**، ترجمة: محمد لطفي الزليطني، منير التريكي، (الرياض: النشر العلمي والمطابع-جامعة الملك سعود، 1418هـ-1997م).
- بوميان، كريستوف، **نظام الزمان**، ترجمة: بدر الدين عركودي، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2009، ط1).
- تأبط شرًا، **ديوانه**، جمع وتحقيق وشرح: علي ذو الفقار شاكر، (د.م: دار الغرب الإسلامي، 1404هـ-1984م، ط1).
- تليمة، عبد المنعم، **مقدمة في نظرية الأدب**، (بيروت: دار التنوير، 2013م، ط1).
- جنات، جيرار، **التخيل والقول**، ترجمة: الصادق قسمة، (تونس: المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا، 2014م، ط1).
- الحارث بن عباد، **ديوانه**، جمع وتحقيق: أنس عبد الهادي أبو هلال، (أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث-المجمع الثقافي، 1429هـ-2008م، ط1).
- الحربي، فرحان، **الأسلوبية والتحليل الأدبي**، (الأردن: دار الرضوان، 1437هـ-2016م، ط1).

- خليف، مي يوسف، **الاغتراب وسقوط الحلم "من شعراء المعلقات إلى المتنبي"**، (القاهرة: دار غريب، 2014م، د.ط).
- خليف، يوسف، **الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي**، (القاهرة: دار المعارف، د.ت، ط3).
- الرباعي، عبد القادر، **جماليات المعنى الشعري "التشكيل والتأويل"**، (الأردن: دار جرير، 1430هـ-2009م، ط1).
- الزوزني، الحسين بن أحمد، **شرح المعلقات السبع**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1423هـ-2002م، ط1).
- الشنفرى، **ديوان الشنفرى ويليه ديوانا السليك بن السلكة وعمرو بن براق**، إعداد وتقديم: طلال حرب، (بيروت: دار صادر، 1996م، ط1).
- الطرابلسي، محمد الهادي، **تحاليل أسلوبية**، (تونس: دار الجنوب، 2015م، ط2).
- العبادي، عدي بن زيد، **ديوانه**، جمع وتحقيق: محمد جبار المعيبد، سلسلة كتب التراث (2)، (بغداد: شركة دار الجمهورية، 1385هـ-1965م، د.ط).
- عبيد بن الأبرص، **ديوانه**، شرح: أشرف أحمد عدرة، (بيروت: دار الكتاب العربي، 1414هـ-1994م، ط1).
- عروة بن الورد، **ديوانه**، دراسة وشرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1418هـ-1998م، د.ط).
- العطية، أيوب جرجيس، **الأسلوبية في النقد العربي المعاصر**، (الأردن: عالم الكتب الحديث، 2014م، ط1).
- العوادي، الحبيب، **جدلية المُبدِع والمُبدَع "قراءة في الأجناس الشعرية ضمن ديوان ابن حميدس الصقلي**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية-جامعة تونس، السلسلة (8)، ع20، 2007م، ط1.
- عياد، شكري، **علم الأسلوب**، (بيروت: دار التنوير، 2013م، ط1).
- غريماس، ألجيرداس.ج، جاك فونتنيي، **سيميائيات الأهواء "من حالات الأشياء إلى حالات النفس"**، ترجمة: سعيد بنكراد، (بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2010م، ط1).
- فالح، جليل رشيد، **الليل في الشعر الجاهلي**، (العراق: آداب الرافدين، ع9-أيلول، 1978م)، ص568-ص528.
- القرطبي، محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن الكريم**، تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، (القاهرة: دار الكتب المصرية، 1384هـ-1964م، ط2).
- القرم، توفيق محمود، **الانزياح الأسلوبي في شعر السياب**، (السعودية: نادي الأحساء الأدبي، 1435هـ-2014م، د.ط).

- القيسي، نوري حمودي، **الطبيعة في الشعر الجاهلي**، (بيروت: دار الإرشاد، 1390هـ - 1970م، ط1).
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، (بيروت: دار الكتب العلمية-منشورات محمد علي بيضون، 1419هـ،ط1).
- المثقب العبدي، **ديوانه**، تحقيق وشرح: حسن كامل الصيرفي، (جامعة الدول العربية-معهد المخطوطات العربية، 1391هـ-1971م، د.ط).
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، **لسان العرب**، (القاهرة: دار المعارف، د.ت، د.ط)، تحقيق: عبد الله الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم الشاذلي، مادة (صعلك)، مج4/ص2451.
- مهلهل بن ربيعة، **ديوانه**، شرح وتقديم: طلال حرب، (د.م: الدار العالمية، د.ت، د.ط).
- ميمون بن قيس، الأعشى، **ديوانه**، شرح وتعليق: محمد حسين، (مكتبة الآداب بالجماميز، د.ت، د.ط).
- النابغة الذبياني، **ديوانه**، شرح وتقديم: عباس عبد الستار، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1416هـ-1996م، ط3).
- النصراوي، مصطفى، **الهامشية " قراءة في واقع الانعزال الاجتماعي"**، تونس: دار سحر للنشر، 2009م، د.ط).
- يوسف، حسني عبد الجليل، **الأدب الجاهلي "قضايا، وفنون، ونصوص"**، (القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، 1431هـ - 2001م، ط1).